فن الفكاهة والمرح
(الكوميديا)

الحياة رحلة شاقة ، حافلة بالمتاعب والآلام ، ولا يسلم امرؤ فيها من تجرع لون أو ألوان من غصصها ، ومكابدة آلامها ، وإن وُلِد وفى فمه ملعقة من ذهب ، كما يقولون .

وقد أشار القرآن إلى ذلك حين قال : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ فِى كَبَدٍ ﴾ (١) .

وأهل الإيمان أكثر تعرضاً لبلاء الدنيا من غيرهم ، نظراً لخطورة مطلبهم ، من ناحية ، وكثرة مَن يعارضهم ويقطع عليهم طريقهم من ناحية أخرى .

حتى ورد فى بعض الآثار : « المؤمن بين خمس شدائد :

---

(١) البلد : ٤

مسلم يحسده ، ومنافق يبغضه ، وكافر يقاتله ، وشيطان يضله ، ونفس تنازعه » .

وثبت فى الحديث أن أشد الناس بلاءً : الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل .

لهذا كان الناس - كل الناس - فى حاجة إلى واحات فى طريقهم تخفف عنهم بعض عناء رحلة الحياة ، وكان لا بد لهم من أشياء يروحون بها أنفسهم ، حتى يضحكوا ويفرحوا ويمرحوا ، ولا يغلب عليهم الغم والحزن والنكد ، فينغص عليهم عيشهم ، ويكدر عليهم صفوهم .

وكان من تلك الأدوات : الغناء ، وقد تحدَّثنا عنه .

ومنها : الفكاهة والمرح ، وكل ما يستخرج الضحك من الإنسان ، ويطارد الحزن من قلبه ، والعبوس من وجهه ، والكآبة من حياته .

فهل يرحب الدين بهذا الفن « الكوميدى » أو يضيق به ؟ هل يحله أو يحرِّمه ؟

* *

● الفكاهة والمرح فى واقع المسلمين :

وقد رأيت الناس - بفطرتهم - وعلى قدر ما سمحت به إمكاناتهم ، وفى ضوء ما عرفوه من سماحة دينهم - قد ابتكروا ألواناً من الوسائل والأدوات التى تقوم بوظيفة الترويح والإضحاك لهم .

من ذلك : « النكت » التى برع فيها المصريون ، واشتهروا بها بين الشعوب ، وهى أنواع مختلفة ، ولها مهمات متعددة ، ومنها : « النكت السياسية » التى تهزأ بالحُكَّام وأعوانهم ، وخصوصاً فى أوقات التسلط والاستبداد السياسى .

ولا يكاد يجلس الناس بعضهم إلى بعض إلا حكوا من هذه النكت ما يضحكهم ويسرى عنهم بعض ما يعانون . أحياناً يسندونها إلى أسماء معروفة ، مثل جحا ، أو أبى نواس ، أو غيرهما ، وأحياناً لا ينسبونها إلى معيَّن .

وهناك أُناس لا يقتصرون على حكاية النكت عن غيرهم ، بل هم ينشئون نكتاً على البديهة ، وهذا شأن الشخصيات

الفكهة ، مثل « أشعب » قديماً ، ومثل الشيخ « عبد العزيز البشرى » حديثاً فى مصر .

وكانت فى مصر بعض المجلات المتخصصة فى هذا اللَّون ، أشهرها مجلة « البعكوكة » .

ويلحق بذلك فن « القفشات » وما يسميه المصريون « الدخول فى قافية » ، وهو لون من استخدام المجاز والتورية حول موضوع واحد ، يتطارح فيه الطرفان .

ومن ذلك : ألوان من الألعاب التى تدعو إلى الضحك والمرح ، مثل لعبة « الأراجوز » .

ومثله « خيال الظل » الذى كان يُعتبر نوعاً من التمثيل الشعبى الفكاهى .

ومن ذلك : الألغاز والأحاجى ، أو ما يسمى فى لغة العامة « الفوازير » .

ومن ذلك : القصص الفكاهية ، أو ما يسميه العوام « الحواديت » المسلية والمرفهة .

ومن ذلك : « الأمثال الشعبية » التى كثيراً ما تتضمن أفكاراً أو تعبيرات تبعث على الضحك والمرح . . .

إلى غير ذلك من الألوان ، التى تخترعها الشعوب بوساطة فنانين معروفين أو مجهولين غالباً ، ملائمة لكل بيئة وما يسودها من قيم ومفاهيم ، وما تمر به من ظروف وأحوال .

وكل عصر يضيف أشياء جديدة ، ويُطوِّر الأشياء القديمة ، وقد يستغنى عن بعضها .

كما نرى فى عصرنا فن « الكاريكاتير » الذى حوَّل النكتة من مجرد كلمة تُقال ، إلى صورة معبِّرة ، مصحوبة ببعض الكلام ، أو غير مصحوبة .

وقد سئلت عن موقف الدين من الضحك والمرح والفكاهة ، نظراً لما يبدو على بعض المتدينين من العبوس والتجهم ، فيكادون لا يضحكون ، ولا يمزحون ، حتى حسب بعض الناس أن هذه هى طبيعة الدين والتدين .

وكان جوابى : أن الضحك من خصائص الإنسان ، فالحيوانات لا تضحك ؛ لأن الضحك يأتى بعد نوع من الفهم والمعرفة لقول يسمعه ، أو موقف يراه ، فيضحك منه .

ولهذا قيل : الإنسان حيوان ضاحك ، ويصدق القول هنا : أنا أضحك ، إذن أنا إنسان .

والإسلام - بوصفه دين الفطرة - لا يُتصور منه أن يصادر نزوع الإنسان الفطرى إلى الضحك والانبساط ، بل هو على العكس يرحب بكل ما يجعل الحياة باسمة طيبة ، ويحب للمسلم أن تكون شخصيته متفائلة باشَّة ، ويكره الشخصية المكتئبة المتطيرة ، التى لا تنظر إلى الحياة والناس إلا من خلال منظار قاتم أسود .

وأُسوة المسلمين فى ذلك هو رسول الله ﷺ ، فقد كان - برغم همومه الكثيرة والمتنوعة - يمزح ولا يقول إلا حقاً ، ويحيا مع أصحابه حياة فِطرية عادية ، يشاركهم فى ضحكهم ولعبهم ومزاحهم ، كما يشاركهم آلامهم وأحزانهم ومصائبهم .

يقول زيد بن ثابت ، وقد طُلب إليه أن يحدثهم عن حال رسول الله ﷺ فقال : « كنت جاره ، فكان إذا نزل عليه الوحى بعث إلىَّ فكتبته له ، فكان إذا ذكرنا الدنيا ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا الآخرة ذكرها معنا ، وإذا ذكرنا

الطعام ذكره معنا ، قال : فكل هذا أحدثكم عن رسول الله ﷺ » [1] .

وقد وصفه أصحابه بأنه كان من أفكه الناس [2] .

وقد رأيناه فى بيته - صلى الله عليه وسلم - يمازح زوجاته ويداعبهن ، ويستمع إلى أقاصيصهن ، كما فى حديث أم زرع الشهير فى صحيح البخارى .

وكما رأينا فى تسابقه مع عائشة رضى الله عنها ، حيث سبقته مرة ، وبعد مدة تسابقا فسبقها ، فقال لها : « هذه بتلك » !

وقد روى أنه وطأ ظهره لسبطيه الحسن والحسين ، فى طفولتهما ليركبا ، ويستمتعا دون تزمت ولا تحرج ، وقد دخل عليه أحد الصحابة ورأى هذا المشهد فقال : نِعْمَ المركب ركبتما ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ونِعْمَ الفارسان هما » !

ورأيناه يمزح مع تلك المرأة العجوز التى جاءت تقول له :

---

(١) رواه الطبرانى بإسناده حسن كما فى « مجمع الزوائد » : ٩/ ١٧

(٢) ذكره فى « كنز العمال » برقم (١٨٤٠٠) .

ادع الله أن يُدخلنى الجنَّة ، فقال لها : « يا أُم فلان ؛ إنَّ الجنَّة لا يدخلها عجوز » ! فبكت المرأة ، حيث أخذت الكلام على ظاهره ، فأفهمها : أنها حين تدخل الجنَّة لن تدخلها عجوزاً ، بل شابة حسناء .

وتلا عليها قول الله تعالى فى نساء الجنَّة : ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾ (١) .

وجاء رجل يسأله أن يحمله على بعير ، فقال له عليه الصلاة والسلام : « لا أحمك إلا على ولد الناقة » ! فقال : يا رسول الله ؛ وماذا أصنع بولد الناقة ؟! - انصرف ذهنه إلى الحُوار الصغير - فقال : « وهل تلد الإبل إلا النوق » ؟ (٢) .

وقال زيد بن أسلم : إن امرأة يقال لها أُم أيمن جاءت

---

(١) الواقعة : ٣٥ - ٣٧ ، والحديث أخرجه الترمذى فى « الشمائل » ، وعبد بن حميد ، وابن المنذر والبيهقى وغيرهم ، وحسَّنه الألبانى فى « غاية المرام » .

(٢) رواه الترمذى ، وقال : حسن صحيح وأخرجه أبو داود أيضاً .

إلى النبى ﷺ فقالت : إن زوجى يدعوك ، قال : « ومَن هو ؟ أهو الذى بعينه بياض » ؟ قالت : والله ما بعينه بياض ! فقال : « بلى إنَّ بعينه بياضاً » فقالت : لا والله ، فقال صلى الله عليه وسلم : « ما من أحد إلا بعينه بياض » [1] ، وأراد به البياض المحيط بالحدقة .

وقال أنس : كان لأبى طلحة ابن يقال له أبو عمير ، وكان رسول الله ﷺ يأتيهم ويقول : « يا أبا عمير ؛ ما فعل النغير » ؟ [2] لنغير كان يلعب به وهو فرخ العصفور .

وقالت عائشة رضى الله عنها : كان عندى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة بنت زمعة فصنعت حَرِيرَة (دقيق يُطبخ بلَبن أو دسم) وجئت به ، فقلت لسَوْدة : كلى ، فقالت : لا أحبه ، فقلت : والله لتأكلن أو لألطخن به وجهك ، فقالت : ما أنا بذائقته ، فأخذت بيدى من الصحفة شيئاً منه فلطخت به وجهها ، ورسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب « الفكاهة والمرح » ، ورواه ابن أبى الدنيا من حديث عبيدة بن سهم الفهرى مع اختلاف ، كما ذكر العراقى فى « تخريج الإحياء » .

(٢) متفق عليه .

جالس بينى وبينها ، فخفض لها رسول الله ﷺ ركبتيه لتستقيد منى ، فتناولت من الصحفة شيئاً فمسحت به وجهى ! وجعل رسول الله ﷺ يضحك [١] .

وروى أن الضحَّاك بن سفيان الكلابى كان رجلاً دميماً قبيحاً ، فلما بايعه النبى ﷺ قال : إن عندى امرأتين أحسن من هذه الحميراء - وذلك قبل أن تنزل آية الحجاب - أفلا أنزل لك عن إحداهما فتتزوجها ! - وعائشة جالسة تسمع - فقالت : أهى أحسن أم أنت ؟ فقال : بل أنا أحسن منها وأكرم ، فضحك رسول الله ﷺ من سؤالها إياه ؛ لأنه كان دميماً [٢] .

وكان صلى الله عليه وسلم يحب إشاعة السرور والبهجة

---

(١) أخرجه الزبير بن بكار فى كتاب « الفكاهة والمرح » ، وأبو يعلى بإسناد جيد كما فى « تخريج الإحياء » .

(٢) قال الحافظ العراقى : أخرجه الزبير بن بكار فى « الفكاهة والمرح » من رواية عبد الله بن حسن مرسلاً أو معضلاً ، وللدارقطنى نحو هذه القصة مع عيينة بن حصن الفزارى بعد نزول الحجاب من حديث أبى هريرة .

فى حياة الناس ، وخصوصاً فى المناسبات مثل الأعياد والأعراس .

ولما أنكر الصِّدِّيق أبو بكر رضى الله عنه غناء الجاريتين يوم العيد فى بيته وانتهرهما ، قال له : « دعهما يا أبا بكر ، فإنها أيام عيد » !

وفى بعض الروايات : « حتى يعلم يهود أنَّ فى ديننا فسحة » .

وقد أذن للحبشة أن يلعبوا بحرابهم فى مسجده عليه الصلاة والسلام فى أحد أيام الأعياد ، وكان يحرضهم ويقول : « دونكم يا بنى أرفدة » !

وأتاح لعائشة أن تنظر إليهم من خلفه ، وهم يلعبون ويرقصون ، ولم ير فى ذلك بأساً ولا حَرَجاً .

واستنكر يوماً أن تُزَف فتاة إلى زوجها زفافاً صامتاً ، لم يصحبه لهو ولا غناء ، وقال : « هلَّا كان معها لهو ؟ فإن الأنصار يعجبهم اللَّهو ، أو الغزل » .

وفى بعض الروايات : « هلَّا بعثتم معها مَن تغنى وتقول : أتيناكم أتيناكم . . فحيونا نحييكم » .

وكان أصحاب النبى ﷺ ومَن تبعهم بإحسان فى خير قرون الأمة يضحكون ويمزحون ، اقتداءً بنبيهم ﷺ ، واهتداءً بهَدْيه . حتى إن رجلاً مثل عمر بن الخطاب - على ما عُرف عنه من الصرامة والشدة - يُروى عنه أنه مازح جارية له ، فقال لها : خلقنى خالق الكرام ، وخلقكِ خالق اللِّئام ! فلما رآها ابتأست من هذا القول ، قال لها مبيناً : وهل خالق الكرام واللِّئام إلا الله عَزَّ وجَلَّ ؟؟

وقد عُرِف بعضهم بذلك فى حياته - صلى الله عليه وسلم - وأقرَّه عليه ، واستمر على ذلك من بعده ، وقبله الصحابة ، ولم يجدوا فيه ما يُنكر ، برغم أن بعض الوقائع المروية فى ذلك لو حدثت اليوم لأنكرها معظم المتدينين أشد الإنكار ، وعدُّوا فاعلها من الفاسقين أو المنحرفين !

من هؤلاء المعروفين بروح المرح والفكاهة والميل إلى الضحك والمزاح : النعيمان بن عمر الأنصارى رضى الله عنه ، الذى رويت عنه فى ذلك نوادر عجيبة وغريبة .

وقد ذكروا أنه كان ممن شهد العقبة الأخيرة ، وشهد بدراً وأُحُداً ، والخندق ، والمشاهد كلها .

روى عنه الزبير بن بكار عدداً من النوادر الطريفة فى كتابه « الفكاهة والمرح » نذكر بعضاً منها . . .

قال : وكان لا يدخل المدينة طُرْفة إلا اشترى منها ، ثم جاء بها إلى النبى ﷺ فيقول : هذا أهديته لك ، فإذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها ، أحضره إلى النبى ﷺ ، قائلاً : أعط هذا ثمن متاعه ، فيقول : « أوَ لم تهده لى » ؟ فيقول : إنه واللهِ لم يكن عندى ثمنه ، ولقد أحببت أن تأكله ! فيضحك ، ويأمر لصاحبه بثمنه .

وأخرج الزبير قصة أخرى من طريق ربيعة بن عثمان قال : دخل أعرابى على النبى ﷺ ، وأناخ ناقته بفنائه ، فقال بعض الصحابة للنعيمان الأنصارى : لو عقرتها فأكلناها ، فإنَّا قد قرمنا إلى اللَّحم ؟ ففعل ، فخرج الأعرابى وصاح : واعقراه يا محمد ! فخرج النبى ﷺ فقال : « مَن فعل هذا » ؟ فقالوا : النعيمان ، فأتبعه يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب ،

واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد ، فأشار رجل إلى النبى ﷺ حيث هو فأخرجه فقال له : « ما حملك على ما صنعت » ؟ قال : الذين دلوك علىّ يا رسول الله هم الذين أمرونى بذلك ، قال : فجعل يمسح التراب عن وجهه ويضحك ، ثم غَرِمها للأعرابى .

وقال الزبير أيضاً : حدَّثنى عمى عن جدى قال : كان مخرمة بن نوفل قد بلغ مائة وخمس عشرة سنة ، فقام فى المسجد يريد أن يبول ، فصاح به الناس ، المسجد المسجد ، فأخذه نعيمان بن عمرو بيده ، وتنحى به ، ثم أجلسه فى ناحية أخرى من المسجد فقال له : بلْ هنا ، قال : فصاح به الناس فقال : ويحكم ، فمَن أتى بى إلى هذا الموضع ؟! قالوا : نعيمان ، قال : أما إنَّ لله علىّ إن ظفرتُ به أن أضربه بعصاى هذه ضربة تبلغ منه ما بلغت ! فبلغ ذلك نعيمان ، فمكث ما شاء الله ، ثم أتاه يوماً ، وعثمان قائم يصلى فى ناحية المسجد ، فقال لمخرمة : هل لك فى نعيمان ؟ قال : نعم ، قال : فأخذه بيده حتى أوقفه على عثمان ، وكان إذا صلى لا يلتفت فقال : دونك هذا نعيمان ،

فجمع يده بعصاه ، فضرب عثمان فشجّه ، فصاحوا به : ضربتَ أمير المؤمنين ! فذكر بقية القصة [1] .

ومن الطرائف أن صحابياً آخر من أهل الفكاهة والمزاح ، استطاع أن يوقع نعيمان فى بعض ما أوقع فيه غيره من « المقالب » كما فى قصة سويبط بن حرملة معه ، وكان ممن شهد بدراً أيضاً ، قال ابن عبد البر فى « الاستيعاب » فى ترجمة سويبط رضى الله عنه : وكان مزّاحاً يفرط فى الدعابة ، وله قصة ظريفة مع نعيمان وأبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنهم ، نذكرها لما فيها من الظرف ، وحسن الخُلُق .

روى عن أُم سلمة قالت : خرج أبو بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه فى تجارة إلى بصرى قبل موت النبى ﷺ بعام ، ومعه نعيمان وسويبط بن حرملة ، وكانا قد شهدا بدراً ، وكان نعيمان على الزاد ، فقال له سويبط - وكان رجلاً مزّاحاً - : أطعمنى ، فقال : لا حتى يجئ أبو بكر

---

(١) ذكر هذه القصص الحافظ ابن حجر فى ترجمة نعيمان من كتابه « الإصابة » نقلاً عن كتاب الزبير بن بكار فى كتابه « الفكاهة والمرح » .

رضى الله عنه ، فقال : أما والله لأغيظنك ، فمروا بقوم فقال لهم سويبط : تشترون منى عبداً ؟ قالوا : نعم ، قال : إنه عبد له كلام ، وهو قائل لكم : إنى حر ، فإن كنتم إذا قال لكم هذه المقالة تركتموه ، فلا تُفسدوا علىَّ عبدى ، قالوا : بل نشتريه منك ، قال : فاشتروه منه بعشر قلائص ، قال : فجاءوا فوضعوا فى عنقه عمامة أو حبلاً ، فقال نعيمان : إنَّ هذا يستهزئ بكم ، وإنى حر ، لست بعبد ، قالوا : قد أخبرنا خبرك ، فانطلقوا به ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه ، فأخبره سويبط فأتبعهم ، فرد عليهم القلائص ، وأخذه ، فلما قدموا على النبى ﷺ أخبروه قال : فضحك النبى ﷺ وأصحابه منها حَوْلاً (١) .

* *

(١) أخرجه ابن أبى شيبة وابن ماجه ، وأخرجه أبو داود الطيالسى والروياني فجعلا المازح هو النعيمان والمبتاع سويبطاً ، كما فى ترجمته فى « الإصابة » .

● **موقف المتشددين** :

ولا ريب أن هناك من الحكماء والأدباء والشعراء مَن ذمَّ المزاح ، وحذَّر من سوء عاقبته ، ونظر إلى جانب الخطر والضرر فيه ، وأغفل الجوانب الأخرى .

ولكن ما جاء عن رسول الله ﷺ وأصحابه أحق أن يُتبع ، وهو يمثل التوازن والاعتدال .

وقد قال لحنظلة حين فزع من تغير حاله فى بيته عن حاله مع رسول الله ﷺ ، واتهم نفسه بالنفاق : « يا حنظلة ؛ لو دمتم على الحال التى تكونون عليها عندى لصافحتكم الملائكة فى الطرقات ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة » . . وهذه هى الفطرة ، وهذا هو العدل .

روى ابن أبى شيبة عن أبى سَلَمة بن عبد الرحمن قال : لم يكن أصحاب رسول الله ﷺ متحزقين ولا متماوتين . كانوا يتناشدون الأشعار ، ويذكرون أمر جاهليتهم ، فإذا أريد أحدهم على شىء من أمر دينه دارت حماليق عينيه كأنه مجنون (١) .

---

(١) المصنف لابن أبى شيبة : ٨/ ٧١١ بلفظ : « منحرفين » بدل « متحزقين » والتصويب من غريب الحديث للخطابى : ٣/ ٤٩

والتحزق كما يقول الإمام الخطابى : التجمع وشدة التقبض .

وفى النهاية لابن الأثير : متحزقين : أى منقبضين ومجتمعين .

وسئل ابن سيرين عن الصحابة : هل كانوا يتمازحون ؟ فقال : ما كانوا إلا كالناس . كان ابن عمر يمزح وينشد الشِعر (١) .

وبهذا يكون موقف أُولئك النفر من المتدينين أو المتحمسين للدين ، وعبوسهم وتجهمهم الذى ظنه البعض من صميم الدين ، لا يمثل حقيقة الدين فى شىء ، ولا يتفق مع هَدْى الرسول الكريم وأصحابه .

إنما يرجع إلى سوء فهمهم للإسلام ، أو لطبيعتهم الشخصية ، أو لظروف نشأتهم وتربيتهم .

وعلى كل حال ، لا يجهل مسلم أن الإسلام لا يؤخذ من سلوك فرد أو مجموعة من الناس ، يخطئون ويصيبون .

---

(١) رواه أبو نعيم فى الحلية : ٢/ ٢٧٥

والإسلام حُجَّة عليهم ، وليسوا هم حُجَّة على الإسلام ، إنما يؤخذ الإسلام من القرآن والسُّنَّة الثابتة .

* *

● حدود المشروعية فى الضحك والمزاح :

إن الضحك والمرح والمزاح أمر مشروع فى الإسلام ، كما دلَّت على ذلك النصوص القولية ، والمواقف العملية للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم .

وما ذلك إلا لحاجة الفطرة الإنسانية إلى شىء من الترويح يخفف عنها لأواء الحياة وقسوتها ، وتشعب همومها وأعبائها .

كما أن هذا الضرب من اللَّهو والترفيه يقوم بمهمة التنشيط للنفس ، حتى تستطيع مواصلة السير والمضى فى طريق العمل الطويل ، كما يريح الإنسان دابته فى السفر ، حتى لا تنقطع به .

فمشروعية الضحك والمرح والمزاح لا شك فيها فى الأصل ، ولكنها مقيَّدة بقيود وشروط لا بد أن تُراعَى :

أولها : ألا يكون الكذب والاختلاق أداة الإضحاك للناس ، كما يفعل بعض الناس فى أول إبريل (نيسان) فيما يسمونه « كذبة إبريل » .

ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : « ويل للذى يُحدِّث فيكذب ، ليُضحك القوم ، ويل له ، ويل له ، ويل له » (١) .

وقد كان صلى الله عليه وسلم يمزح ولا يقول إلا حقاً .

ثانياً : ألا يشتمل على تحقير لإنسان آخر ، أو استهزاء به وسخرية منه ، إلا إذا أذن بذلك ورضى .

قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُواْ خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاء عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُواْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِالأَلْقَابِ ، بِئْسَ الاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ ﴾ (٢) .

وجاء فى صحيح مسلم : « بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وحسّنه والنسائى عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده .

(٢) الحجرات : ١١

وذكرت عائشة أمام النبى ﷺ إحدى ضرائرها ، فوصفتها بالقصر تعيبها به ، فقال : « يا عائشة ؛ لقد قلتِ كلمة لو مُزِجت بماء البحر لمزجته » .

قالت : وحكيت له إنساناً - أى قلَّدته فى حركته أو صوته أو نحو ذلك - فقال : « ما أحب أنى حكيت إنساناً وأن لى كذا وكذا » (١) .

ثالثاً : ألا يترتب عليه تفزيع وترويع لمسلم .

فقد روى أبو داود عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ ، أنهم كانوا يسيرون مع النبى صلى الله عليه وسلم فقام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معه فأخذه ، ففزع ، فقال رسول **الله** ﷺ : « لا يحل لرجل أن يروع مسلماً » .

وعن النعمان بن بشير قال : كنا مع رسول **الله** ﷺ فى مسير ، فخفق رجل على راحلته (أى نعس) فأخذ رجل سهماً من كنانته فانتبه الرجل ، ففزع ، فقال رسول **الله**

---

(١) رواه أبو داود والترمذى ، وقال : حسن صحيح .

صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لرجل أن يروع مسلماً » [1] . . والسياق يدل على أن الذى فعل ذلك كان يمازحه .

وقد جاء فى الحديث الآخر : « لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعباً ولا جاداً » [2] .

رابعاً : ألا يهزل فى موضع الجد ، ولا يضحك فى مجال يستوجب البكاء ، فلكل شىء أوانه ، ولكل أمر مكانه ، ولكل مقام مقال . والحكمة وضع الشىء فى موضعه المناسب .

ومن ممادح الشعراء :

إذا جـدَّ عند الجِد أرضـاك جده
وذو باطل إن شئتَ ألهاك باطله !

والباطل هنا يقصد به اللَّهو والمرح .

وقال آخر :

أهازِلُ حيث الهزل يحسن بالفتى
وإنى إذا جدَّ الرجال لذو جد !

---

(١) رواه الطبرانى فى « الكبير » ورواته ثقات .

(٢) رواه الترمذى وحسَّنه .

وروى الأصمعى أنه رأى امرأة بالبادية تصلى على سجادتها خاشعة ضارعة ، فلما فرغت وقفت أمام المرآة تتجمل وتتزين ، فقال لها : أين هذه من تلك ؟

فأنشدت تقول :

ولله منى جانب لا أُضيعه وللَّهو منى والبطالة جانب !

قال : فعرفتُ أنها امرأة عابدة لها زوج تتجمل له .

وقد عاب الله تعالى على المشركين أنهم كانوا يضحكون عند سماع القرآن وكان أولى بهم أن يبكوا ، فقال تعالى : ﴿ أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنتُمْ سَامِدُونَ ﴾ (١) .

خامساً : أن يكون ذلك بقدر معقول ، وفى حدود الاعتدال والتوازن ، الذى تقبله الفطرة السليمة ، ويرضاه العقل الرشيد ، ويلائم المجتمع الإيجابى العامل .

والإسلام يكره الغلو والإسراف فى كل شىء ، ولو فى العبادة ، فكيف باللَّهو والمرح ؟!

---

(١) النجم : ٥٩ - ٦١

ولهذا كان التوجيه النبوى : « ولا تكثر من الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب » ؛ فالمنهى عنه هو الإكثار والمبالغة .

وقد ورد عن علىّ رضى الله عنه قوله : « أعط الكلام من المزح ، بمقدار ما تعطى الطعام من الملح » .

وهو قول حكيم ، يدل على عدم الاستغناء عن المزح ، كما يدل على ضرر الإفراط فيه .

وخير الأُمور هو الوَسَط دائماً ، وهو نهج الإسلام وخصيصته الكبرى ، ومناط فضل أُمته على غيرها [1] .

* * *

(١) انظر : كتابنا « فتاوى معاصرة » : ٢/٤٤٥ - ٤٥٧ ، طبع دار الوفاء .